مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة أصفهان
العدد٧ (خريف وشتاء ١٣٩١هـ.ش/ ١٤٣٣-١٤٣٤هـ. ق)، ص ٧-٣٢

إرسال المثل في ديوان الطغرائي الأصفهاني[١]

سيدمحمدرضا ابن الرسول*
سيدةرقية أحمدي**

الملخّص

إن المثل خير وسيلة لبيان ما في الضمير بصورة موجزة ومفيدة، واستخدامُ الأمثال ظاهرة رائعة نجدها في كثير من الآيات أو ضمن قصص متنوعة. هناك عبارات منثورة ومنظومة أصبحت أمثالاً وحكمًا لكثرة استعمالها. تستخدم الأمثال احترازاً من الإطناب؛ فهي تبيّن المواضيع بصورة واضحة ولكن على سبيل التعريض والكناية. وأمّا محسنة إرسال المثل في علم البديع فهو إتيان الشاعر بمثل معروف أو شعر أو قول حكمي في شعره ليصبح مثلاً أو جارياً مجرى الأمثال ويُقبل عليه العامة والخاصة. لا شك أن كل شاعر يريد أن يخلد شعره؛ فلهذا يسعى أن يُظهرَ شعرَه حكمياً ونفسه معلّم الحكمة. إن إرسال المثل يعطي الشعر المقبولية العامة ويخلّده في الأذهان ليستفاد منه عند الحاجة.

استخرج المؤلفان في هذه المقالة نماذج من الأمثال أو ما جرى مجرى الأمثال من ديوان الطغرائي وحاولا أن يجدا لبعضها مصادر من القرآن، ومن الأمثال والحكم المتواجدة لدى العرب والفرس.

الكلمات الرئيسية: إرسال المثل، الشعر العربي، الأمثال والحكم، الأدب العربي في إيران.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٩٠/٧/١٠هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩١/٣/١٧ هـ.ش

❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة أصفهان. Email: ibnalrasool@yahoo.com
❖❖ طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ـ جامعة أصفهان.

المقدمة

مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصفهاني، حسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد المعروف بالطغرائي، شاعر عربي الإنشاد، ولد في أصفهان سنة ٤٥٣هـ(١٥٦١م). كان حاذقاً، بلا نظير في الكتابة والشعر، وعالماً بعلم الكيمياء، ألّف في ذلك كتاباً. كان يتولّى مناصب عديدة في دولة السلاجقة منها تولية ديوان الاستيفاء، ووزارة السلطان *مسعود الغزنوي* في الموصل، والكتابة. وكان في صنعة الإنشاء لا يماثله أحد لأنه كان في اللغة العربية بليغاً حاذقاً. قتل هذا الشاعر الشيعي سنة ٥١٣ أو ٥١٤ أو ٥١٨ هـ، في الحرب بين الأخوين السلجوقيين *مسعود ومحمود* في أسد آباد، قرب همدان باتهام الزندقة.

له ديوان شعر جمعه بنفسه. وحظيت قصيدة «*لامية العجم*» في هذا الديوان بعناية الأدباء واهتمامهم فاستعملوا أبياتها كشواهد في كثير من النصوص والكتابات باللغة العربية والفارسية. كان *الطغرائي* من كبار الشعراء في الأدب العربي إضافة إلى قدرته الفائقة وقريحته في إنشاد الشعر.

له تتبع في دواوين أسلافه من كبار الشعراء وقصائدهم وقد أثّر هذا التتبّع تأثيراً كبيراً في رصانة شعره وقدرته الشعرية. ويظهر هذا التأثير في معارضاته لبعض الشعراء وتضمينات أخذها منهم واستخدمها في شعره إلى جانب ما تركه بعض الشعراء من ظلّ على شعره؛ منهم: *أبوالعلاء المعري، والشريف الرضي، والمتنبي* (بختيار، ١٣٥٣هـ.ش، ص٢٠). وجمع كأكثر شعراء عصره بين الأدب الجاهلي وأدب عصر النهضة، وقصيدته الشهيرة المسماة بـ«لامية العجم» تدلّ على هذا الامتزاج. كان المدح والوصف من أغراضه الشعرية الهامة.

إرسال المثل وأهميته

لإرسال المثل وإنشاد الحكمة درجةٌ عالية من الأهمية، وهي أنّ الأديب كلّما أراد أن يتحدّث عن شاعر في مجلس أدبيٍ لا يوفّق ولا يجذب قلوب المستمعين إلا إذا كان قد حفظ في ذاكرته أشعاراً مثلية أو جارية مجرى الأمثال.

ونحن في هذه المقالة نريد أن نعرض نتائج بحثنا عن إرسال المثل في ديوان الطغرائي بين يدي القارئ الكريم الخبير بالشعر ليخصص قليلا من أوقاته الثمينة بالتأمل في شعر هذا الشاعر الإيراني المولد والعربي الإنشاد.

❋❋❋

في محاذرة الناس وعدم الوثوق بهم

أعْـدى عَـدُوِّكَ أَدنـى مَـنْ وَثِقَـتَ بـه ... فَحـاذِرِ النـاسَ واصْـحَبْهُم علـى دَخَـلِ

وَإِنّمـــا رجـــلُ الـــدنيا وواحـــدُها ... مَـنْ لا يُعَـوِّلُ في الـدنيا علـى رجُـلِ

و حُسْـــنُ ظنّـــكَ بالأيـــامِ معْجِـــزةٌ ... فَظُـنَّ شـرّاً وكُـنْ مِنْهـا علـى وَجَـلِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٠٧).

يضرب بهذه الأبيات المثل في الإباء والامتناع وعزّة النفس. يريد الشاعر بها عدم الاعتماد على الناس ؛ إذ عنده كلّ من اعتمد على نفسه، واقتنع بما عنده، ولم يسأل الناس، فإنه الرجل الأوحد ؛ لأن الضعفاء والعاجزين يثقون بالناس ويحسنون الظنّ بهم.

ونجد هذا المضمون عند الشعراء العرب، كما قال *محمود الورّاق*:

ما إن فحصتُ على أخي ثقةٍ إلا ذمَمتُ عواقب الفَحص

(نقل في زين الدين الرازي، ١٣٧١هـ. ش، ص٧٩).

إذ التفحص يظهر لك كلّ ما في صديقك من عيوب ؛ فلا تجده موثوقاً به ومُعتمداً عليه كما كنت تظن.

كما يقول الشاعر الفارسي *ظهير الفاريابي*:

چون نيست در اين زمانه عهدشكن يک دوست كه عاقبت نگردد دشمن

تنهايى را كنون نهادم گردن با خويشتنم خوش است زين پس من

(نقل في خليل شرواني، ١٣٦٦هـ. ش، ص٦٩).

والمعنى: إذا لم يكن في هذا الدهر الناقض للعهد صديق لا يمسي في النهاية عدوا ؛ فأنا أفضّلُ الوحدة وأنا مسرور مع نفسي لا مع أحد آخر.

وإلى هذا المضمون أشار الشاعر الكبير *سعدي الشيرازي* في الباب الأول من كتابه *بوستان*:

كسى جان ز آسيب دشمن ببُرْد كه مر دوستان را ز دشمن شمرد

(نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٨٢).

يعني: لا يسلم من أعدائه إلا من يحسب أصدقاءه أعداءً.

❋❋❋

في التسلّي وتعزّي النفس

ولَو عَلانيَ مَن دوني فَلاعَجَبٌ لي أُسوَةٌ بانحِطاطِ الشّمسِ عن زُحَلِ

فَاصبِر لَها غيرَ مُحتالٍ وَلا ضَجِرٍ في حادثِ الدَّهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٠٧).

فالدهر، عنده، قد يُعزّ الذليل، وقد يُذلّ العزيز ؛ فعلى الإنسان ألاّ يتضجَّر بل عليه أن يلتزم الصبرَ.

هذه الأبيات يضرب بها المثل في التعزي وتسلّي النفس ومن أمثالها ما قال *المتنبي*:

ولَو لَم يَعلُ إلا ذو مَحلٍّ تعالى الجَيشُ وانحطَّ القَتامُ

(البرقوقي، ١٩٨٦م، ج ٤، ص١٩٣).

إذا لم يرفع إلا ذو منزلةٍ رفيعةٍ فليكن الجيوش في الأعلى، والقتام في الأسفل ؛ أي: فلتكن عكس ما هي عليه.

ويذكّرنا ما سار على لسان الناس، قاله شاعر من بلاد فارس مجهول:

دود اگر بالا نشيند كسر شأن شعله　　جاى چشم ابرو نگيرد گر چه او بالاتر

شَست و شاهد هر دو دعویّ بزرگی　　پس چرا انگشت كوچک لايق انگشتر

والمعنى: علو الدخان وارتفاعه لا يدلّ على انحطاط مكانة النار، كما أن الحاجب لا يقع موقع العين وإن كان مكانه أرفع منها. إن إصبع الإبهام والسبّابة يدّعيان العلوّ على الأصابع الأخرى لكن الخاتم هو من حق البنصر.

وكذلك لشاعر مجهول آخر:

من از روييدنِ خارِ سرِ ديوار　　كه ناكَس كَس نمی‌گردد به اين

والمعنى: قد علمت من نبت الشوك على أعلى الجدار أن الوضيع لا يصير رفيعاً وإن جلس في المكان الأعلى.

❁❁❁

في ذمّ الكذب

قد شانَ صدقيَ عندَ الناسِ كِذبُهُمُ　　وَهَل يُطابَقُ مُعوَجٌّ بِمُعتَدِلِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٠٨).

هذا البيت يُضرب به المثلُ في تفشّي الرذائل في المجتمع؛ إذا كثرت الرذائل الاخلاقيةُ في المجتمع، فالفضائل ومكارم الأخلاق لا يُقدّرها أحدٌ، ولا قيمةَ لها، والناسُ لا يعيرون المتحلّي بها اهتماماً بل يذمّون أحياناً الشيم والمكارم.

كما يقول *المتنبي*:

إنّا لَفي زمنٍ تركُ القبيحِ به　　مِن أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

(البرقوقي، ١٩٨٦م، ج ٢، ص٤٠٧).

يعني نحن نعيشُ في زمن شاعت الذمائمُ فيه شيوعاً لا يُتوَقّع التحلّي بالمحامد من أحد، بحيث أمسى ترك الذميمة ـ دون الإتيان بالمكرمات ـ هو الفضيلة.

ويقول *المتنبي* أيضاً:

وَمَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ　　يَجِد مُرّاً بِهِ الماءَ الزُّلالا

(نقل في زين الدين الرازي، ١٣٧١هـ. ش، ص٢١٥).

فالإنسان إن كان سليم النفس يرى كلّ شيءٍ جميلاً وإلاّ فيرى كلّ شيءٍ أسود كدراً.

❁❁❁

في مدح الأمل

أعَلِّــلُ الــنّفسَ بالآمــالِ أرقُبُهــا ما أضيَقَ العُمرَ لولا فُسحةُ الأملِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٠٦).

والتعليل هو التسكين؛ فإنه يرقبها، أي: ينتظر تحقق آمال نفسه، إذ لا حياة بلا أمل.

يضرب المثل بالشطر الثاني من البيت في الأمل والرجاء، كما قال *الرازي* في كتابه *الأمثال والحكم*، إنه في الزهد ولكنه يشير إلى أن الآمال ورجاء تحققها هي التي تسكّن الإنسان وتشغل باله وتطيل عمره؛ وللفرس جملة معروفة قريبة من قول *الطغرائي* هي: «آدمى به اميد زنده است» أي لولا الأمل لما عاش البشر.

❁❁❁

الفضل والمال لا يجتمعان معاً

أبى اللّهُ جمعَ الحظِّ والفضلِ للفَتى إلى أن يُــرَى مــاءً معــاً ولَهيــبُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١١٧).

المعنى: لم يجعل الله الحظّ والفضل معاً في الإنسان إلاّ أن يرى أحدٌ اجتماعَ الماء والنار معاً.

هناك عباراتٌ عديدةٌ للشعراء العرب والفرس في هذا المضمون بأنه لا يجتمع العلم والفضل مع الثروة والحظّ الدنيوي؛ كما قال *المتنبي*:

وَمَا الجمعُ بينَ الماءِ والنّارِ في يَدي بأصعَبَ مِن أن أجمَعَ الجَدَّ وَالفَهما

(البرقوقي، ١٩٨٦م، ج ٤، ص٢٣٤).

يعني الجمع بين النار والماء أسهل عليّ من الجمع بين الحظّ الدنيوي والعلم؛ فالجمع بين هذين الأخيرين محال.

وكما قال *سعدي الشيرازي* في *كلستان*:

آن كه حظ آفريد و روزي سخت يا فضيلت همى دهد يا بخت

(نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٢٨٤و٥٦٩).

❁❁❁

في السّكوت

ويــا خــبيراً علــى الأســرارِ مُطَّلِعــاً أُصمُتْ فَفي الصَّمتِ مَنجاةٌ مِن الزَّلَلِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٥٩).

يريد الشاعر من العالِم بالأسرار أن يأخذ السكوت ترساً ووقايةً؛ فإنه وسيلة للنجاة من العثرات.

هذا البيت يُضرب به المثل في الصمت والاحتراز عن العبث.

وقال شاعر فارسيّ في هذا المضمون:

آن به كه نگويى چو ندانى سخن ناگفته سخن به بود از گفته رسوا

(نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٣١٨).

والمعنى: من الأفضل أن لا تقول شيئاً ما دمت لا تعلم ما تريد التحدث عنه؛ فالمراد أن عدم البوح بالكلام أفضل من الكلام الذي يجلب الخزي لصاحبه.

ويقول *سعدي*:

دو چيز طيره عقل است: دَم فـرو به وقتِ گفتن و گفتن بـه وقـتِ

(سعدي، ١٣٨٩هـ. ش، ص١٤).

يعني يعكّر العقل شيئان: الصمت عندما يجدر التكلّم، والكلام حينما ينبغي السكوت.

فمطلق الصمت ليس محموداً بل المحمود هو الصمت عن الكلام العبث؛ كما قال الإمام عليّ عليه السلام: **«لا خيرَ في الصّمتِ عن الحِكم، كما أنّه لا خيرَ في القولِ بالجهل»** (الدشتي، ١٣٧٥هـ.ش، ص ٢٠٤، حكمة ١٨٢)، وتُذكّرُنا بهذه العبارة: **«صَمتٌ تَسلَم به خيرٌ من نُطقٍ تندَمُ عليه»** (نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٣١٨).

وقال *ناصر خسرو*:

خامشـــى از كـــلام بيهـــده بـــه در زبور است اين سخن مسطور

(نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٣١٨).

يعني: السكوت خيرٌ من الكلام العبث وجاءت هذه الحكمة في الزبور. وهي شبيهة بهذه الحكمة المعروفة: **«مَن كَثُر كلامُه كثُر خطأُه»**، ويقول *بيهقي* أيضاً: «**سخنى كه ناخوش خواهد آمد ناگفته به**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٩٥٧)، أي: إن الصمت أفضل من كلام مجلب للإزعاج.

وقال *الأديب النيشابوري*:

سخن از سخنگوى دانا بهْ اسـت سخن‌هاى نادان ستوهى‌دِه اسـت

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٩٥٠).

يعني أن الكلام محمودٌ إذا كان قائله عالماً؛ لأن كلام الجاهل يسبّب الإزعاج.

❋❋❋

في عدم الاهتمام بما يعيبه السفهاء

إذا حُمِـدَت بـينَ الأفاضـلِ سـيرَتي فـأهوِن بـنَقصٍ جـاءَ مِـن عنـدِ نـاقصٍ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٢٠٨).

أي: ذو الأخلاق الحميدة لا يهمّه عيب من يعيبه من الناس.

يضرب به المثل إذا كان السفهاء لا يعرفون قدر الأفاضل ولكن يوجَد من يعرف قيمته ومكانته (نقل في دامادي، ١٣٧٩هـ.ش، ص٣٢٣).

وقال *ناصر خسرو*:

گر ندارد حرمتم جاهل مرا كمتر سوى دانا نه نسب نه جاه و نه قدر

(نقل في دامادي، ١٣٧٩ هـ. ش، ص٣٢٣).

يعني لا تقلّ قيمتي لو لم يحترمني الجاهل؛ لأنه لا يعرف نسبي ومقامي وحسبي ولكنّ العالم يعرف كلّ هذه المحامد فيَّ فيحترمني.

❋❋❋

في الرجاء بانتهاء المصائب

ألم تَـرَ أنّ طـولَ اللّيـلِ لمّـا تَنـاهى حـانَ لِلصـبحِ انفـراجُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٠٧).

فالليل إذا طالَ، فسيأتي موعد الصباح وستنتهي ظلمة الليل وسيغمُرُ الضوءُ كلَّ الأرجاء، فعلى الإنسان ألاّ ييأسَ ويعلمَ بأن الكروب ستزول.

وإليك الآن أبيات فارسية في هذا المضمون:

اگـر چنـد باشـد شـبِ ديربـاز بـر او تيرگـی هـم نمانَـد دراز

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١١١).

روز رخشنده كزو شاد شود مردم از پس اندُه ورنجِ شب تـار آيـد

(المصدر نفسه).

در نوميـدی بسـی اميـد اسـت پايـان شـبِ سـيه، سـپيد اسـت

(المصدر نفسه).

إنّ ظلمة الليل لا تبقى وإن طال الليلُ. والنهار الذي يجلب السرور للناس يأتي بعد ليل مظلم يحزن الناس. والظلمة تزول ويتولد منها النوركما يتولد الفرح من بطن الملمّات.

بعـدِ نوميـدی بسـی امّيدهاسـت از پـس ظلمـتْ دو صـد

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١٠١٣).

فهذا البيت يشابه البيت السابق في المعنى.

ويقول *سعدي الشيرازي*: «**شب آبستن است ای برادر به روز**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١٠١٢)، أي الليل حامل بالصبح وسينجبه. ويقول الشاعر الفارسي المعروف بمكتبي: «**از پس هر شبی بوَد روزی**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١١١)، أي بعد كلّ ليل نهارٌ؛ كما جاء في التنزيل: ﴿**إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**﴾ (الانشراح، ٩٤ :٦).

❁❁❁

في ذمّ عدم الوفاء بالعهد واختلاف القول والعمل

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغَدرُ وانفرجَت　　مسافةُ الخُلفِ بينَ القولِ والعملِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٣٠٨).

قلّ الوفاءُ وكثر المكرُ وتباعد القول والعمل؛ يعني: قلّما يوجد من قوله وفعله واحد والناس أكثرهم يقولون ما لايعملون به، ولا يوفون بعهدهم بل ينقضونه.

لقد تكرر مضمون هذا البيت كثيراً في قصائد شعراء آخرين، كما قال *ناصر خسرو*:

قول، چون خرما و همچون خار،　　این نه دین است این نفاق است

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١١٦٨).

أي: ليس من الدين أن يكون المرء جميل الكلام كالرطب، سيئ العمل كالشوك، بل هذا من عداد النفاق.

قول را نیست صوابی چو عمل　　ایزد از بهر عمل کرد به آیات

(المصدر نفسه).

أي: وليس من الصواب أن لا يقترن القول بالعمل، والله أنزل الآيات من أجل العمل.

وقال *أوحدي*:

قول و فعل تو تا نگردد راست　　هر چه خواهی نمود جمله

(المصدر نفسه، ص١١٦٩).

أي: إذا لم يتوحد القول والعمل فليس لعملك أيُّ قيمة.

وهناك آية في هذا المضمون: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كَبُرَ مَقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ (الصف٦١: ٢- ٣).

❁❁❁

إذا أمست الفضائل بلا قيمة

فَأخلاقُهُم بالمُخزياتِ رَهائِنُ　　وأعراضُهُم للمُرديات حَصائدُ

تَقَهقهَرُ عَن نَيلِ المَعالي خُطاهُمُ　　فَسيّانِ ساعٍ للمَعالي وقاعِدُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٢٩).

فإنهم تَعوّدوا على الدني وبعدوا عن مكارم الأخلاق فأهلكت الرّذائلُ أعراضهم. قد عجزت أقدامُهم عن السير إلى المعالي، فلا فرقَ بين الذي يسعى لطلب المعالي والذي يقعد عنها.

والمصراع الأخير مما يصلح أن يجرى مجرى المثل.

❋❋❋

في العناية بقول الناصح

إذا لَـم يُعِـن قـولَ النصـيحِ قبـولٌ فـإنَّ مَعـاريضَ الكـلامِ فُضـولُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٢٢٧).

المعنى: إذا لم يقبل أحد كلام الناصح المشفق، فلا فائدةَ له في الأقوال المختلفة.

يضرب بهذا البيت المثل إذا أراد الناصح المشفق النصيحةَ ولكن المخاطب لا يهتمّ بكلامه ولا يقبل نصيحته.

كما قال *سعدي الشيرازي*:

محل قابل وآنگه نصـيحتِ قائـل چو گوشِ هوش نباشد چه سـود

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ.ش، ج٣، ص١٥٠٤).

إنما تفيد النصيحةُ من يستمع إليها ويقبلها، ولا فائدةَ في القول الحسن إذا لم يكن هناك سامع حاذق. وهذا قول الله ﷻ: ﴿**لقَد أبلَغتُكُم رسالةَ ربّي ونصَحتُ لكم ولكن لا تُحبّون الناصحين**﴾ (الأعراف٧: ٧٩). ويشير إلى مضمون هذه العبارة قول لقمان الحكيم «**تعلّم حسنَ الاستماع كما تتعلّم حسنَ الحديث**».

ويقول *يغما*:

گوش اگر گوش تـو و نالـه اگـر آنچه البته به جايى نرسـد فريـاد

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ.ش، ج٣، ص١٣٣٠).

يعني مادمتَ لاتستمع لقولي لا فائدة في القول وإن كنت أصرخ عليك بصوت عال.

نصيحت غنيمت شمار اى پسـر نگر تـا نگـردى ز ناصـح ملـول

اگر صد هـزاران نصـيحت كننـد فضولى بـود چـون نيايـد قبـول

يعني يا بنيَّ اغتنم النصيحة وتأمّل فيما يقوله الناصح لئلاّ تملّ من قوله. ولو كان عدد النصائح مئات من الآلاف فلا طائل تحتها لو لم تحظ بالقبول.

وكأن البيت الأخير أُنشِد في ترجمة بيت الطغرائي المذكور آنفاً في هذا الباب.

❋❋❋

في ذمّ اليأس

وَ لاتَيأسـي مِـن رَوحِ ربِّـك إنَّـه متـى تَسـتَحِقّي روحَـه تَجِديـهِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٢).

لا تيأس من رحمة الله لأنك متى أصبحت مستحقا لها تجدها. وهي مأخوذة من قول الله ﷻ: ﴿**ولا تيأسوا من رَوح الله إنّه لاييأسُ مِن رَوحِ اللهِ إلّا القومُ الكافرين**﴾ (يوسف١٢: ٨٧)، وقوله ﷻ: ﴿**يا عِبادي الّذينَ أسرَفوا على أنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمةِ الله**﴾ (الزمر٣٩: ٥٣).

وله أيضا:

ولاتيأسَن مِن صُنعِ رَبِّكَ إنَّني ضَمينٌ بأنَّ اللهَ سوفَ يُديلُ

ألم تَرَ أنَّ الشَّمسَ بعدَ كُسوفِها لَها صَفحةٌ تَغشَى العُيونَ صَقيلُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٢٩٧؛ ونقل في الحموي، الموسوعة الشعرية، معجم الأدباء، ٢١٢٨).

المعنى: لاتيأس من تقدير مكروه جعله الله لك، وإنّني أضمنُ بأنّ الله سيُقلّبه؛ ألا رأيتَ أن الشمسَ بعدَ كسوفها لها صفحة نور يبهر العيون. وهناك أبيات في هذا المضمون تشير إلى أن الظلمات والمشاكل ستنتهي يوماً:

از آن زمان كه فكندند چرخ را دری نبست زمانه كه دیگری

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١١١).

أي: منذ بُنيت السماوات والأرض لم يُغلق الدهرُ باباً إلا وفتح آخر.

سرما چو به غایت رسد آخر خورشید بتابد و جهان گرم شود

(نقل في خليل شرواني، ١٣٦٦هـ. ش، ص٥٦٤).

أي: إذا اشتدّ البردُ وبلغ غايته فستُشرق الشمسُ يوماً ويصيرُ الجو حارّا.

خدا گر ز حكمت ببندد دری ز رحمت گشاید در دیگری

(المصدر نفسه).

أي: إذا أغلق اللهُ باباً حسب مشيئته، فسيفتحُ باباً آخرَ رحمة منه على الخلق.

ويقول *حافظ الشيرازي*:

یوسف گم گشته باز آید به كنعان كلبه احزان شود روزی گلستان

دور گردون گر دو روزی بر مراد ما دائما یكسان نباشد حال دوران

(المصدر نفسه).

لاتحزن، سيرجع يوسف إلى كنعانَ يوماً وسيصير كوخ الأحزان روضةً فإن لم يكن مرور الزمن وفق مرادنا، فلا تحزن لأن أحوال الدهر لا تتساوى دائماً.

غم مخور ایام هجران رو به پایان وین خماری از سر ما می‌گساران

(المصدر نفسه).

يعني أيام الهجرة ستنتهي فلا تحزن، ونحن الشاربين سنصحو عن هذه السكرة.

آخر سحری بوَد شب تار مرا وآخر نظری بوَد به من یار مرا

زين كار فرو بسته نگـردم نوميـد　　باشد كه گشايشى بـوَد كـار مـرا

(نقل في خليل شرواني، ١٣٦٦هـ. ش، ص٥٦٢).

يعني سيكون بعد هذا الليل المظلم سحر، وسينظر الحبيب في أحوالي. لا أيأس من أمر مغلق مبهم لأنه سيكون فرج في أمري.

والمصراع الثاني من بيت الطغرائي قريب من المصراع الثاني من هذا البيت *لأبي نواس*:

مُصـــابي جَليـــلٌ وَالعَـــزاءُ جَميـــلٌ　　وظَنّـــي بـــأنَّ اللّـــهَ ســـوفَ يُـــديلُ

(نقل في الحموي، الموسوعة الشعرية، معجم الأدباء، ٢١٣٠).

مصيبتي كبيرة وصبري لها جميل لحسن ظنّي بالله لأنه سيفَرِّجُها.

❁❁❁

عاقبة كلّ شيء هو الفناء

وأيُّ قَنـــاةٍ لَـــم تُـــرَنَّح كُعوبُهـــا　　وأيُّ حُســـامٍ لَـــم يُصِـــبه فُلـــولُ

وأيُّ هِـــلالٍ لَـــم يشِـــنهُ محاقُـــهُ　　وأيُّ شِـــهابٍ لَـــم يخُنـــهُ أُفـــولُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٢٩٨؛ ونقل في الحموي، الموسوعة الشعرية، معجم الأدباء، ٢١٣٠).

المعنى: كلّ قناةٍ تفتح عقدها وكلّ سيف يُفلُّ وكلّ هلال يُحاقُ وكلّ شهابٍ يُصابُ بالأفول والزوال؛ لأن عاقبة كلّ شيءٍ هو الفناء والموت وهذا المضمون نراه بكثرة في القصائد العربية والفارسية:

ســرانجامِ هــر زنــده مــردن بــود　　خود اين زندگى دم شمردن بـود

(منصور مؤيد، ١٣٧٣هـ. ش، ص١١٥).

أي: الموت عاقبة كلّ كائن وليست الحياة إلّا عدّ الأنفاس.

لِدوا للموتِ وابنوا للخرابِ (نقل في اليوسي، الموسوعة الشعرية، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ٢١٣٢).

والشـــيبُ أكمـــلُ صـــاحبٍ لـــو أنـــه　　يبقـــى ولكـــن لاســـبيلَ إلى البَقـــا

(نقل في البارودي، الموسوعة الشعرية، ديوان البارودي).

كما يقول الله ﷻ: ﴿**كلُّ شيء هالك إلّا وجهه**﴾ (القصص٢٨: ٨٨)، و ﴿**كلُ نفسٍ ذائقةُ الموت**﴾ (آل عمران٣: ١٨٥).

❁❁❁

في معاملة العدوّ بالرفق

جامِـل عـدوَّكَ مَـا اسـتَطَعتَ فإنـه　　بـالرِّفقِ يُطمَـعُ في صَـلاحِ الفاسـدِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٣٥).

اشرح صدرك في معاملة عدوّك وأحسن إليه ؛ لأن العدو الفاسد قد يصلح بالرفق والمداراة. وهناك أبيات في الفارسية قريبة بهذا المضمون :

يقول *حافظ الشيرازي* :

آسايش دو گيتى تفسير ايـن دو　　با دوستان مروت با دشمنان مدارا

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١ ، ص٣٢).

يعني رغد العيش في الكونين تفسير هذين الحرفين : التزام المروة مع الأصدقاء والمداراة مع الأعداء.

ويقول *سعدي الشيرازي* :

به شيرين زبانى ولطف وخَوشـى　　توانى كـه پيلـى بـه مـويى كَشـى

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١ ، ص٤٤٤).

يعني بحلاوة الكلام واللطف والحسن تستطيع أن تجرّ فيلاً بشعرة واحدة.

وقال *أسدي* :

ز بـدخواه و از مـردم كينـه‌كـش　　توان دوسـت كـردن بـه گفتـار

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢ ، ص٨٩٥).

يعني بحسن الكلام تستطيع أن تكوّن صداقة مع الأشرار.

وقال *ناصرخسرو* :

خوب‌گويى اى پسر بيـرون بَـرَد　　از ميـان ابـروى دشـمْنْ‌چـين

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢ ، ص٨٩٢).

يعني لحسن الكلام أثر بالغ بحيث يُذهب التجعدات من على جبين عدوّك.

«**زبان خوش مار را از سوراخ بيرون مى آورد**» (المصدر نفسه)، أي : يُخرج طيب الكلام الهوامَّ من النقوب والثقوب.

❁❁❁

في الاتحاد

كونـوا جَميعـاً يـا بَـنيَّ إذا اعتَـرى　　خَطـــبٌ ولاتَتَفَرَّقـــوا آحـــادا

تَـأبَى القِـداحُ إذا جُمِعـنَ تكَسُّـرا　　وإذا افتَـــرَقنَ تَكَسَّـــرَتْ أفـــرادا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ١٣٥ ؛ ونقل في ابن عذب شاه، الموسوعة الشعرية، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ٨٥).

المعنى : يا بَنيّ اتّحدوا في المصائب ولا تتفرّقوا كما أن القِداح (السِّهام) إذا كانت معاً لا تتكسّر ولكن إذا تفرّقت تكسّرت واحدة تِلوَ أخرى.

«**إن الذليل الذي ليست له عضد**» (مرزبان بن رستم، ١٣١٠هـ. ش، ص٣٧).

ويقول *حافظ الشيرازي*: «**آرى به اتفاق، جهان می توان گرفت**» (نقل في المصدر نفسه)، أي: بالوحدة يمكن التغلب على الدهر. وفي كتاب *أمثال و حكم لدهخدا* أبيات كثيرة باللغة الفارسية في هذا المضمون لا نأتي بها لضيق المجال (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٣٠).

وللطغرائي نفسه في هذا المضمون:

كـذاكَ القِـداحُ يُكسَـرُ وهـو فَـردٌ ويُسـفَعُ بالقِـداحِ فـلا يُـرامُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٥٥).

يعني يُكسَر السهم إذا كان واحداً ولكن إذا اتحد مع السهام الأخرى فلا يُكسَر.

❁❁❁

في جفاء الأصدقاء

فـلا زالَ أصـحابي يُسـيئونَ عِشـرَتي ويَجفـونَني حتَّـى عَـذَرتُ الأعاديـا

فـوا أسَـفا حتّـامَ أرعَـى مُضَـيَّعاً وآمَـنُ خَوّانـاً وأذكُـرُ ناسـياً

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٥).

أمسى جفاء أصحابي على قدر لا ألوم الأعداء على جفائهم، فوا أسفا عليَّ إلى متى أعيش مع أصدقاء مُسيئين ضيّعوني، أمنتُهم فخانوني، وذكرتهم فنسوني.

لقد تكرر المشهد والمضمون كثيراً في قصائد الشعراء من فرس وعرب، كما يقول *أظهري*:

از دشمنان برند شكايت بـه نـزد چون دوست بر جفاست شكايت

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١٢٩).

ألوذ بالصديق عند ما يجفو العدو، فإلى من أشتكي حين يجفو الصديق؟

ويقول *مسعود سعد سلمان*:

دوستان چـون جفـا كننـد همـی مـن چـه امّيـد دارم از دشـمن

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨٣٦).

ما أمَلي بالعدوّ عندما يجفو الصديق؟

يقول *حافظ الشيرازي*:

من از بيگانگان هرگز هرگز ننالم كه با من هر چه كرد آن آشنا كرد

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٤، ص١٧٣٧).

لا أبثّ شكواي من أعدائي بل إنما من أصدقائي.

دشمن ار دشمنی كند فنِ اوست كـار صـعب اسـت دشـمنی از

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨١٣).

إذا جفا العدوّ فلا بأس ؛ لأنّ الجفاء طبيعته ولكن جفاء الصديق يعزّ عليَّ.

بـــد بُـــوَد از كســـى جفاكـــارى كـــه از او چشـــم دوســـتى دارى

(المصدر نفسه).

الجفاء قبيح إذا كان من جانب صديق تأمل رفقَه.

❁❁❁

إذا مـــا لَـــم تَكُـــن مَلِكـــاً مُطاعـــاً فكُـــــن عَبـــــداً لِخالِقِـــــه مُطيعـــــا

إذا لَـــم تَملِـــكِ الـــدنيا جَميعـــاً مِـــن اللـــذاتِ فاترُكهـــا جَميعـــا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٢٤٥ ؛ ونقل في ابن الأثير، الموسوعة الشعرية، المثل السائر، ١٣١٦).

وهناك أمثال من الفارسية في هذا المضمون:

يقول *جلال الدين الرومي*: «**پا تهى گشتن به است از كفش تنگ**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٤٩٤) ؛ يعني المشي بلا حذاءٍ أفضلُ من حذاء لايتّسع لقدميك. و نسب إلى *أنوشروان*: «**از گرسنگى مردن به كه به نان فرومايگان سير شدن**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١٤٣) ؛ الموت جوعاً أفضل من الشبع من خبز السفلة.

❁❁❁

في العمل بالقول

فَعَلـــوا ومـــا قـــالوا وأيـــنَ هُـــمُ مِـــن مَعشَـــرٍ قـــالوا ومـــا فَعَلـــوا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٢٩٤).

شتّان ما بين قائلٍ لم يفعل، وفاعلٍ لم يَقُل.

كما قال *الفردوسي*: «**دو صد گفته چون نيم كردار نيست**» (دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨٣٩). **يقول ما هو مضمونه:** أرطال من الأقوال لا تعادل رطلاً من العمل.

وقال *مسعود سعد*:

چه مرد است آنكه همچـون هـم مر او را در جهان گفتار و كـردار

(المصدر نفسه).

الذي يقول ما لا يفعل بعيدٌ عن الفتوّة.

وقال *سنائي*:

راه رو راه، گِـــردِ گفـــت مَگَـــرد كـــه بـــه گفتـــار، ره نشـــايد كـــرد

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨٣٩).

اعمل ولا تدُر حول رحى الكلام، فبالكلام لا يمكن قطع المسافات.

❁❁❁

في فهم الباطن من الظاهر

وَجَعَلتَ عُنوانَ السَّماحِ طلاقةً وكَذا لِكُلِّ صَحيفَةٍ عُنوانُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٩٥).

وهذه عبارات تشابه ما جاء به *الطغرائي*:

قال *سعدي الشيرازي*: «**رنگ رخساره خبر می دهد از سِرّ ضمير**» (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨٧٤)؛ يعني لون الوجه يخبر عمّا في الضمير أو الظاهر عنوان الباطن.

وقال *قطران التبريزي*:

ز تو آيد پديد مردی و جود چون به عنوان پديد شود كتاب

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١٣٩).

كما أن الكتاب عنوانُه يُظهر مضمونَه فالفتوّة والجود يُظهران شيمتك.

قال ﷻ: ﴿**سيماهُم في وُجوههم مِن أثَر السّجود**﴾ (الفتح٤٨: ٢٩).

❁❁❁

في الصبر وعدم الجَزَع

فَلا تَجزَعَنْ لِلكَبْلِ مَسَّكَ وَقعُها فَإنّ خَلاخيلَ الرِّجالِ كُبولُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٠٠).

المعنى: لاتجزَع من الأغلال الّتي في أيديك وقدميك؛ لأن الكبول والأغلال زينة للرجال. يريد إذا أصابتك المصائب لاتجزع واصبر لأن المشاكل والخطوب زينة للرجال.

وجاء في الأدب الفارسي أمثاله؛ قال *سعدي الشيرازي*:

مرد بايد كه در كشاكش دهر سنگ زيرين آسيا باشد

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٣، ص١٥١٣).

على الرجل أن يكون كالحجر الأسفل من الرحى في المشاكل؛ يصبر ولا يتضجّر منها.

كما قال *ناصر خسرو*:

تا نبيند رنج و سختی مرد كی تا نيايد باد و باران گُل كجا بويا

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٥٣٨).

إنما يصبح الرجل رجلاً عندما يجرّب الخطوب والصعاب، كما أنه لا تكون للوردة رائحةٌ إلا بعد هطول المطر وهبوب الريح.

❁❁❁

في الإحسان وعدم توقّع الجزاء

أوَ مـــا سَـــمِعتَ مَقـــالَ قـــائِلِهِم افعَـــل جَمـــيلاً وَارْمِ في البَحـــرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٦٢).

والمعنى: إذا أحسنت إلى الناس فلا تتوقع منهم الجزاء والشكر.

كما يقول *سعدي الشيرازي*:

تو نيكى مى كن و در دجله انداز كـه ايـزد در بيابانـت دهـد بـاز

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٥٦٧).

يعني أحسِن وارم فعلك الحسن في نهر دجلة لإن الله يجزيك الخير وأنت في الصحراء؛ من عمل جميلاً وهو في الحضَر أعاد الله عليه جميله وهو في السفر.

❁❁❁

في كون كثير من الظنون خطأ

غُـرَّت بِتَـرجيمِ الظُّنـونِ فَأَخطَـأتْ والظّـنُّ يُخطِـئُ مَـرَّةً ويُصـيبُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٦٣).

وهي مستوحاة من الآية الكريمة: ﷻ: ﴿**إنّ بعضَ الظنّ إثمٌ**﴾ (الحجرات٤٩: ١٢).

گمان، مرغکِ سست بال است و کجا سست‌پـرْ مـرغ شـد اوجْ بـر

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٣، ص١٣٢٢).

إن الظنّ بمثابة طير ضعيف الجناحين واهن الريش، فكيف يستطيع أن يحلّق في السماء؟

❁❁❁

الحبّ لا يمكن كتمانه

تُريـدونَ إخفـاءَ الغَـرامِ بِجَهـدِكُم وهـل يكـتُمُ الإنسـانُ مـا لـيس خافيـا؟

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٤).

إنكم تبذلون قصارى جهدكم لتكتموا الحبّ، وهل يستطيع الإنسان أن يكتمَ شيئاً لا يمكن كتمانه؟

كما جاء في *المثنوي* لمولانا *جلال الدين الرومي*:

عشق معشوقان نهان است و ستير　　عشق عاشق با دو صد طبل و نفير

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١١٠٣).

الحبّ في قلب المحبوب مكتوم ومستور، ولكن حب المحب يقترن بالطبول والضوضاء لا يمكن كتمه.

❁❁❁

في وصال الحبيب

ذَكَرنا شَكاوى ما لَقينا مِن الهَوى　　فلمّا تَصالَحنا نَسينا الشَكاويا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤٧١).

كما يقول الشاعر:

گفته بودم چو بيايى غم دل با تو　　چه بگويم كه غم از دل برود

(سعدي، ١٣٨٩هـ. ش، ص٥٩٩).

يعني كنت عَهدتُ أن أذكر لك ما تحمّلتُ من الهموم في فراقك ولكن ماذا أقول عند مجيئك؟ لأنّ الهموم قد تزول عنّي برؤية طلعتك.

❁❁❁

في القناعة وعدم الطمع

هو المالُ إن أمسَكتَه أو بَذَلتَهُ　　فَحَظُّكَ مِنهُ ما كَفَى الجوعَ والعَريا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٣).

هذا مالك، إن حفظته أو بذلته إلى الناس، فنصيبك منه ما يُنجيك من الجوع والعري.

مالُكَ ما أكَلتَ فأفنيتَ وَلَبستَ فأبليتَ (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٣٩٦).

قال *الفردوسي*:

بخور آنچه دارى و بيشى مجوى　　كه از آز كاهد همى آبروى

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٣٩٦).

يعني كُلْ مما تملكُ ولا تطمع في الأكثر منه، لأنّ الطمع يذهب بمكانة الإنسان وماء وجهه.

❁❁❁

في الندامة والتوبة

وإنَّ شَـــفيعي تَـــوبَتي ونَـــدامَتي ومَعـــــرِفَتي أنَّ الكـــــرامَ كِـــــرامُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤٧١).

فليس للشاعر شفيع غير التوبة والندامة ما دام يطمئن بأن أهل الكرم كرام يعفون عما أتى به من أعمال غير صالحة.

كما يقول الشاعر:

شفاعت من بيچاره توبت است و همين شفيع مرا بس به عرصه‌گـاه

يعني شفاعتي هي التوبة والندامة وهذا الشفيع يكفيني يوم القيامة.

❁❁❁

لا بدّ من تحمل المصاعب من أجل الأماني

لِقـاءُ الأمـاني في ضَـمانِ القَواضِـبِ ونَيـلُ المَعـالي في الـدِّراعِ السَّباسِـبِ

(المصدر نفسه).

المعنى: بلوغ المرء إلى الآمال في التزام السيوف القاطعة واكتساب المعالي في قطع المفازات البعيدة.

ونشير إلى نماذج في هذا المضمون؛ قال *سعدي الشيرازي*:

نابرده رنج گنج ميسر نمـی‌شـود مزد آن گرفت جان برادر كه كـار

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص١١٤).

يعني لايُحصَل على الكنز دون الكدّ، والأجر لمن يعمل.

نشايد بهی يافت بی رنـج و بـيم كه بی رنـج كـس نـارد از سـنگ

(المصدر نفسه).

لاينبغي الحصول على فضل دون الكدح ولا يستطيع أحد أن يُخرج الكنزَ من الحجر دون الكدّ واحتمال النصَب.

بقـــدر الكـــدّ تكتســـب المعـــالى وَمَـــن طلـــبَ العُلـــى سَـــهِر الليـــالي

(دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج ١، ص١١٧).

تُريـــدونَ لُقيـــانَ المَعـــالي رَخيصَـــةً ولا بُـــدَّ دونَ الشَّـــهدِ مِـــن إبَـــرِ النَّحـــلِ

(البرقوقي، ١٩٨٦م، ج ٤، ص٤).

المعنى: تريدون الحصول على المعالي دون سعي وكدح، ولابدّ لمن يريد العسل أن يحتمل إبر النحل ولسعتها.

❁❁❁

في عدم الوثوق بالغريب

يقولـون مَـن هـذا الغَريـبُ ومـا لَـه وفـيمَ أتانـا والغَريـبُ مُريـبُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٥٢).

المعنى: يقولون نحن لا نعرف هذا الغريب ولماذا أتى إلينا والغريبُ يُثير الشكّ.

«**غريب دوست نشود**» (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١١٢٤). الغريبُ لا يُصادقُ.

«**غريبه غريبه است**» (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص١١٢٥).

وهي كما في المثل العامية السائر: «الغريب ذيب» أي ذئب.

غريبى گرت ماسـت پـيش آورد دو پيمانـه آبسـت و يـک كمچـه

(المصدر نفسه).

إن أتاك الغريبُ بلبن زبادي فاعلم أنه يتشكل من ملعقتي ماء وملعقة شنينة؛ أي لا تأمن بما يعطيك الغريب أبداً.

❋❋❋

في فوائد السفر

إنّ العُلـى حَـدَّثتني وهـيَ صـادقةٌ فيمـا تُحَـدِّثُ أنَّ العِـزَّ في النُّقَـلِ

لَـو كـانَ في شَـرَفِ المَـأوى بُلـوغُ مُنـىً لَـم تَـبرَحِ الشَّـمسُ يومـاً دارةَ الحَمَـلِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٣٠٦؛ و نقل في بهاء الدين العاملي، الموسوعة الشعرية، الكشكول، ٨٤٠).

كما قال *أنوري* في فوائد السفر:

سفر مربّیِ مـرد اسـت و آسـتانه سفر خزانه مـال اسـت و اوسـتاد

به شهر خويش درون بـى خطـر به كان خويش درون بى بهـا بـوَد

به جرم و خاک و فلک در نگـاه كه اين كجاست ز آزرم و آن كجا

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٩٧٤).

أي: السفرُ يُربّي الإنسان ويمهّد الطريق للحصول على المقام، وهو خزانة للثروة وأستاذ للفنّ. لا قيمة للانسان مادام في موطنه، لم ينتقل إلى مكان آخر، كما أنّ الدرّ لا قيمة له مادام في الصدف. فليُنظَر إلى الأرض والتراب والفلك، أين هذا من ذاك في العلوّ والرفعة، هذا في أسفل المكان لسكونه وذاك في الأعلى وما ذلك إلا لترحال الفلك واستقرار التراب.

❋❋❋

في الكَرَم

وما يَستَوي وُدُّ المُقَلِّدِ والّذي ... لَه حُجَّةٌ في وُدِّه ودَليلُ

فَعُد بي إلى اللُّطفِ الّذي كُنتَ واصِلاً ... جَناحي به إنَّ الكَريمَ وَصولُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٢٨٧).

أنا أحبُّك لأني أعرف كرمك ولطفك وليس حبّي لك بلا حجة فاعطف علي مرةً أخرى لأنّ الكريمَ يَلطُف بالآخرين ويُكرمهم.

هذه الأبيات شاهدة على استخدام «إنّ الكريم وَصول» والذي يجري مَجرى المثل.

❁❁❁

قيمة الإنسان بعمله لا بحسبه ونسبه

يَسودُ الفَتى قومَه بالفَعال ... ولَيسَ بأكرَمهم مَحتِدا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٣٤).

يعني قيمةُ الإنسان بعمله وليس للأصل والنسب قدرٌ مادام لم يقترن بالفعل الحسن.

يقول *ابن الوردي* في هذا المضمون :

لاتقُل أصلي وفَصلي أبداً ... إنَّما أصلُ الفَتى ما قَد حَصَل

(نقل في بهاء الدين العاملي، الموسوعة الشعرية، الكشكول، ٦٤٧).

ويُنسَب إلى الإمام *علي* عليه السلام :

لَيسَ الفَتى مَن يقولُ كانَ أبي ... إنَّ الفتَى مَن يقولُ ها أنا ذا

(المصدر نفسه).

«**فرزند خصال خويشتن باش**». كُن ابن فضائلك ؛ وهذا يذكّرنا بالمثل السائر : «**كُن عصاميّاً ولا تكن عظاميّاً**» (الميداني، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٣٤٥).

❁❁❁

لاتجدُر الغِرَّةُ بالظواهر

ولا يَغُرَّنْكَ نَورٌ راقَ مَنظَرُه ... إذا تَفَتَّقَ عَن مُرٍّ مِن الثَّمَرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٥٨).

ولا قيمةَ لجمال الظاهر بل المهمّ هو جمال الباطن والسيرة.

وأنشد شاعر فارسي مجهول في هذا المضمون:

صورت زيبای ظاهر هيچ نيست ای برادر سيرت زيبا بيار

(سعدي، ١٣٨٩هـ. ش، ص٦٩١).

لا قيمةَ لجمال الظاهر فليكُن باطنك جميلاً.

❁❁❁

في الاستقامة والمواصلة في العمل

قَد يُدرِكُ الغايةَ القُصوَى على مَهَلٍ أخو الهُوَينا وَقد يَنبَتُّ ذو الخُصُرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٥٨).

قد يصل إلى هدفه الأقصى من يمشي مُطمئنا وقد يَتعَبُ السريعُ الذي حِمله خفيف مِن مُواصلة طريقه.

يعني المهمّ أن لا يتضجّر الإنسان من متاعب الحياة ولا ييأسَ، فعليه أن يسعى ويجتهد دائماً للوصول إلى غاياته إذا جعل لنفسه غاية.

كما يقول الشاعر:

رهرو آن نيست كه گه تند و گهی رهرو آن است كه آهسته و

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٢، ص٨٨٤).

لا يعتبر سالكاً للطريق مسافراً من يمشي سريعاً مرةً ويمشي على مهل مرةً أخرى، بل السالك من يمشي هُوينى بدوام.

❁❁❁

قَد يهلك الإنسان لفضله

ورُبَّما كانَ فضلُ المَرءِ مَتلَفَةً وإنَّما تَلَفُ الأصدافِ بالدُّرَرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٥٩).

يعني قد يهلك الإنسان ويتلفُ لفضله كما تتلفُ الأصداف لما في بطنها من الدّرر.

يعني على الفاضل أن لا يتوقّع الاحترام والتقدير من قِبل الناس دائماً؛ لأن في الناس جماعة لا يعرفون قدر الفاضل ويحسدونه ويمكن أن يُهلكوه.

الشاهد في المصراع الثاني، فقد يمكن أن يعدّ من أضراب المثل.

❁❁❁

في العُجب

وَالمَرءُ يَحسِبُ ما يَأتيه مِن حَسَنٍ مِنه ويَنسِبُ ما يَجني إلى القَدَرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٥٩).

المعنى: إذا حدث للإنسان ما يُعجبه يَنسبُه إلى نفسه، وإذا حدث له ما يكرهه يَنسبُه إلى التقدير.

لاشكّ أن هذا نتيجةُ عدم علمه بالله وسننه الإلهية لأنه ﷻ يقول ﴿**إنّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حتّى يُغَيِّروا ما بِأنفُسِهِم**﴾ (الرعد١٣: ١١)، فعلى الإنسان أن يستسلم لما يأتيه من خير وشرّ.

ويقول ﷻ: ﴿**وَإن تُصِبهُم حَسَنَةٌ يَقولوا هذا مِن عِندِ الله وإن تُصِبهُم سَيِّئَةٌ يَقولوا هذه مِن عِندِك**﴾ (النساء٤: ٧٨).

❁❁❁

في الإحسان

فارشَحْ بخيرٍ وإن أعيَتكَ مقدُرةٌ فالغُصنُ يُحطَبُ إن لَم يُعطِ بالثَّمَرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٥٩).

المعنى: أحسِن إلى الناس ما استطعت وإن كنت عاجزاً، لأنّ الغصن يُكسر ويُحرق ما لم يُثمِر.

علي المرء أن يُحسن إلى الناس مادام حيّاً، فعلامة حياته الإحسان إلى الناس وإذا لم يرغب في الإحسان فكأنه شجر بلا ثمر لا فائدة فيه وكأنه ميّت.

وأشرنا سابقاً إلى أبيات في هذا الموضوع.

❁❁❁

في عدم تساوي أحوال الحياة

وَالعَيشُ كَالماءِ قَد يَصفو مَشارِبُه حيناً وَيُشرَبُ أحياناً على كَدَرِ

(المصدر نفسه).

يعني أحوال الحياة لاتتساوى دائماً ولاتكون على ما يريد الإنسان وقد يُصيبه ما يكرهه، فعليه أن يرقُب كلَّ حادثةٍ من سوءٍ أو خير ويشكر الله على ما أصابه من خير وشرّ، كما أن الماء ليس صافياً دائماً، قد يصفو وقد يكدر.

والبيت مما يجدر أن يمثّل به.

❁❁❁

الصبر والشكر توأمان

أَلَم تَرَ أنَّ الصَّبرَ للشُّكرِ تَوأمُ وأنَّهما ذُخران للُيسرِ والعُسرِ

فَلَـم أرَ مثـلَ الشُّـكرِ حـارسَ نِعمـةٍ ولا ناصـراً عنـدَ الكريهـةِ كالصَّـبرِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٦١و١٦٢).

يعني الصبرُ والشكرُ فضيلتان ومكرُمتان وعلى الإنسان أن يتحلَّى بهما معاً ؛ الشىرُ ينصره إذا أعطاه الله نعمة لئلا يغترَّ فالغرور آفةٌ النعمة، والصبرُ ينصره لئلا يجزع ويتضجّر عند الكريهة.

❁❁❁

في التوكل على اللّه والرضا بقضائه

فَكِـل إلى اللّـه مـا أعيـاكَ مَطلَبُـه فَسـوفَ يـأتي بِمـا لا تَأمُـلُ القَـدَرُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص١٩٨).

المعنى: إذا أعجزتَ عن طلب ما لايتيسّر عليك طلبه فتوكّل على الله ؛ لأنّ الله يفعل ما يريد ولايُعييه خلقُ شيء فسوف يأتي لك بما لا تأملُ.

كما قال الله ﷻ: ﴿**وَمَن يتَوَكَّل على اللّه فهو حَسبه ويَرزقه من حيثُ لا يَحتَسِب**﴾ (الطلاق٦٥ : ٣).

❁❁❁

في قبول رأي الصواب وعدم النظر إلى قائله

لاتَحقِـرَنَّ الـرّأيَ وَهـوَ مُوافِـقٌ حُكـمَ الصَّـوابِ إذا أتَـى مِـن نـاقِصِ

فالـدُّرُّ وَهـو أجـلُّ شَـيءٍ يُقتَنَـى مـا حَـطَّ قيمَتَـه هـوانُ القـانِصِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٢٠٩ ؛ ونقل في العاملي، الموسوعة الشعرية، الكشكول، ٢٤٣٠ ؛ وفي الوطواط، الموسوعة الشعرية، غرر الخصائص الواضحة، ٢٤٨).

يعني ليس قدرُ الرأي والفكر بقائله وصاحبه بل بصوابه ؛ لأنّ الرأي الصواب يُرشد الإنسان ويُنقذه من المهالك.

وهذا يذكّرنا بالقول المشهور: **«انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال».**

❁❁❁

في سرعة مرور الزمن

ولَقَـد رأيـتُ الـدَّهرَ في أفعالِـه مُسـتَعجِلاً وتَخالُـه مُـتَمَهِّلاً

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٢٨٩).

المعنى: الدهر يُسرع ويستعجل فيما يفعل ولكننا نحسب أنه لا يُسرع بل يمشي بهدوء.

هذا البيتُ يُضرب به المثل في سرعة مرور الزمن كما أنشد *حافظ الشيرازي*:

بنشين بر لب جوى و گذر عمـر　　كاين اشارت ز جهان گذران ما را

(نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٤٦٨).

يعني اِجلس على حافة النهر وانظُر مرور العُمر كما يمرّ الماء فهذه تشير إلى سرعة مضي الزمن إشارةً تكفينا.

❁❁❁

في عزة النفس

وإذا الفَتَـى عَـرَفَ الرَّشَـادَ لِنفسـهِ　　هانَـت عليـه ملامـةُ الجُهّـالِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣١١).

فالإنسان الحُرّ والأبيّ لا ينزعج من إساءة الناس إليه لأن نفسه العزيزة أكبر من أن تُؤثر فيها أيّة إساءة، كما قال الله ﷻ: ﴿**إذا مرّوا باللغو مرّوا كراما**﴾ (الفرقان٢٥: ٧٢).

❁❁❁

في غفلة الإنسان

فالـدَّهرُ لـيسَ يَنـامُ عنـ　　ـكَ وأنـتَ عَنـه مَنـامُ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٣٦٧).

المعنى: الدهرُ لايغفُلُ عنك مع أنك غافلٌ عنه.

والبيت يجري مجرى المثل.

❁❁❁

في مفارقة الأصدقاء

رُوَيـدَكُمُ لاتَسـبِقوا بِقَطـيعَتي　　صُـروفَ اللّيـالي إنَّ في الـدّهرِ كافيـا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص ٤١٥؛ ونقل في النويري، الموسوعة الشعرية، نهاية الأرب، ١٢٥٣).

لا تسبقوا مكاره الدهر بمفارقتكم إياي؛ لأن مكاره الدهر تكفيني لبُؤسي. قد ابتلتني الدنيا بصروفها وهمومها فلا تزيدوني غمّاً وحزناً بمفارقتكم.

فعند الشاعر مفارقة الأحباب أشدّ من مصائب الدهر ومكارهه.

والعبارة «إن في الدهر كافيا» مما يضرب بها المثل.

❁❁❁

في الصداقة

وخـيرُ صِـحابي مَـن كَفـانيَ نفسَـهُ وكـــانَ كِفافـــاً لا عَلَـــيَّ ولا لِيـــا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٥).

يقول في ذلك *سعدي الشيرازي*: «**مرا به خير تو امّيد نيست شر مرسان**» (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج٣، ص١٥٠٨).

أي: لا أمل لي في إحسانك علي، فابعد عني إساءتك.

❁❁❁

في التعوّد على صروف الدهر

وَمَـن يَصـحَب الأيـامَ يَـألَف هناتِهـا إلى أن يَظُـنَّ الشَّـريَ مـن طَعمِـه أريـا

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٤).

وهو قريب من بيت *المتنبي*:

مَـــن يَهُـــن يَســـهُلِ الهَـــوانُ عليـــهْ مـــا لِجُـــرحٍ بِمَيِّـــتٍ إيـــلامْ

(البرقوقي، ١٩٨٦م، ج٤، ص٢١٧).

❁❁❁

في القناعة

خُـذي صَـفوَ مـا أوتيـتِ وَاغتَنِميـهِ وإن ســـوَّفَ المقـــدارُ فانتَظِريـــهِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٢).

يقول: خذ أفضل ما أعطاك الله إياه، واغتنمه وإن لم يعطك شيئا فارض بالقدَر وانتظره لعله يعطيك غدا.

البيتُ مما يجدر أن يضرب به المثل في القناعة والرضا بالقدَر.

❁❁❁

الناس يشبهون الدهر

أَلَـم تَـرَ أنَّ النّـاسَ أبنـاءُ دَهـرِهِم وكُلُّهُـــم في غُـــدرِه كأبيـــهِ

(الطغرائي، ١٩٨٣م، ص٤١٢).

الناسُ بزمانهم أشبَه مِنهم بآبائهم (نقل في دهخدا، ١٣٦٣هـ. ش، ج١، ص٢٧٥).

❁❁❁

النتيجة

١. إن *أباتّمام والمتنّبي* عرفا باستخدام «إرسال المثل»، فلقّب كلّ منهما بـ«الحكيم». واتخذ *الطغرائي* طريقتهما وقلّدهما.
٢. جرى إرسال المثل في ديوان *الطغرائي* على طريقين:
الأول: الإتيان بالبيت كله أو نصفه بحيث ينبغي أن يضرب به المثل؛ يعني: يمسي البيتُ كلُّه أو مصراعٌ واحدٌ منه مثلاً.
والثاني: استخدام مضمون مثل سائر في بيت أو مصراع واحد منه.
٣. هناك نماذج من تشبيه التمثيل في ديوان *الطغرائي* يمكن اعتبارها جارية مجرى الأمثال.

❋❋❋

المصادر والمراجع

أ.العربية:

القرآن الكريم.

١. بختيار، مظفر. (١٣٥٣هـ.ش). ***حياة الطغرائي***. تهران: جامعة تهران.
٢. البرقوقي، عبدالرحمن. (١٩٨٦م). ***شرح ديوان المتنبي***. (٤ج). بيروت: دار الكتاب العربي.
٣. الطغرائي، الحسين بن علي. (١٩٨٣م). ***ديوان الطغرائي***. تحقيق علي جواد الطاهر و يحيى الجبوري. (ط٢). الكويت: دار القلم.
٤. ***الموسوعة الشعرية***. (٢٠٠٣م). الإصدار٣. القرص الكمبيوتري. أبوظبي: المجمع الثقافي.
٥. الميداني، أبوالفضل أحمد بن أحمد. (٢٠٠٣م). ***مجمع الأمثال***. (جزءان). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ب.الفارسية:

٦. خليل شروانی، جمال‌الدین. (١٣٦٦هـ‌ش). ***نزهة المجالس***. تحقیق محمد امین ریاحی. تهران: زوار.
٧. دهخدا، علی اکبر. (١٣٦٣هـ‌ش). *امثال و حکم*. (٤ج). (با صفحه شمار پیاپی)، (چاپ ششم). تهران: امیر کبیر.
٨. دامادی، محمد. (١٣٧٩ هـ ش). مضامین مشترک در ادب فارسی وعربی *(شامل هزار مدخل)*. ویرایش٢، تهران: دانشگاه تهران.
٩. دشتی، محمد؛ و محمدی، سید کاظم. (١٣٧٥هـ‌ش). ***المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة***. قم: مؤسسة أمیر المؤمنین للتحقیق.
١٠. زین الدین الرازی، محمد بن ابی بکر. (١٣٧١ هـ ش). *امثال و حکم*. ترجمه و تصحیح و توضیح فیروز حریرچی، با مقدمه شاکر الفحام. (چاپ٢). تهران: دانشگاه تهران.
١١. سعدی، مصلح بن عبدالله. (١٣٨٩هـ ش). *کلیات سعدی*. تصحیح و ویرایش کاظم مطلق. قم: اسوه.
مرزبان بن رستم. (١٣١٠هـ ش). *مرزبان نامه*. به تصحیح محمد بن عبدالوهاب قزوینی. تهران: کتابخانه تهران.
١٣.منصور مؤید، علی رضا. (١٣٧٣هـ ش). *ارسال مثل در شاهنامه فردوسی*. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی.